

نحو نظرية تربوية جديدة (البيداغوجيا الإبداعية)

الدكتور جميل حمداوي

تمهيد :

وتسييرا؟ هذا ما سوف نرصده في موضوعنا هذا.

سياق النظرية التربوية الإبداعية :

من المعلوم أن هناك ثلاث مدارس بارزة في المنظومة التربوية العالمية، فهناك مدرسة تغير المجتمع كما هو الحال في اليابان، ومدرسة يغيرها المجتمع كما في دول العالم الثالث، ومدرسة تتغير بتغير المجتمع كما هو شأن المدرسة في الدول الغربية.

وإذا أردنا أن نعرف طبيعة المدرسة المغربية فهي مدرسة محافظة بلا شك، تهدف إلى تكوين مواطن صالح بمفهوم السلطة الحاكمة، يحافظ على قيم المجتمع وأعرافه وعاداته وتقاليده. ويعني هذا أن المدرسة المغربية تقوم بالوظيفة الاجتماعية نفسها التي أشار إليها إميل دوركايم (E.Durkeim)، والتي تتمثل في التنشئة التربوية والتأهيلية، وتوريث المتعلم القيم الاجتماعية نفسها التي كانت عند آبائه وأجداده، وذلك من أجل التكيف والتأقلم مع أوضاع المجتمع وقوانينه. أي: تقوم المدرسة بإدماج الفرد داخل المجتمع، وتسهر على تربيته عبر مؤسسات صغرى وكبرى من أجل الحفاظ على مكتسبات المجتمع. ومن هنا، فهذه المدرسة بحال من الأحوال مؤسسة محافظة، تكرر القيم الموروثة نفسها، وتعطي المشروعية للطبقة الحاكمة لكي تستمر في السيطرة على السلطة، دون التفكير في تغيير المجتمع من أجل اللحاق بالدول المتقدمة. وبالتالي، تنعدم عند هذه المدرسة الأهداف الوطنية الحقيقية التي تعمل على زرع الوطنية الصادقة في نفوس المواطنين، وبناء الإنسان المبدع الحقيقي، والاحتكام إلى احترام حقوقه، وتمثل الديمقراطية والشورى، والأخذ بفلسفة الحريات الخاصة والعامة. وتفقد هذه المدرسة كذلك إلى الأهداف القومية التي تعمل على تطوير الأمة العربية والإسلامية، وتسعى إلى تغيير أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

ويعني كل هذا أن وظيفة المدرسة تقوم على وظيفتي المحافظة والمحافظة، والتشديد على جدلية الماضي

جرب المغرب بصفة خاصة، والعالم العربي بصفة عامة، عدة نظريات تربوية، كنظريات التربية الحديثة، ونظرية الأهداف السلوكية، ونظرية الجودة، ونظرية الشراكة، وبيداغوجيا المجزوءات، ونظرية الكفايات والإدماج... وما زال البحث مستمرا لإيجاد نظريات تعليمية أخرى موجودة في الساحة التربوية الغربية من أجل تجربتها في مدارسنا ومؤسساتنا الوطنية تقليدا واستيرادا واستنباتا، قصد تطبيقها وممارستها، وكل ذلك رغبة في التحقق من نجاعتها وفعاليتها. والهدف من هذا البحث الدؤوب عن المستجدات التربوية النظرية والإجرائية هو تجديد الوضع البيداغوجي والبيداكتيكي، وإيجاد الحلول الممكنة للمشاكل التي يتخبط فيها تعليمنا من المستوى الابتدائي حتى المستوى الجامعي، والذي أصبح يخرج أجيالا كثيرة من الطلبة الحاصلين على الشهادات العليا، ولكن بدون قيمة ولا جدوى، إذ سرعان ما يجدون أنفسهم بعد التخرج عاطلين وبطلين بدون عمل، وبدون كفاءة وظيفية تساعد على تدبير شؤون حياتهم، على الرغم من حاجة المجتمع الماسة إليهم. هذا ما دفع الكثير من الدول العربية، ومنهم المغرب، إلى استيراد النظريات التربوية الغربية التي وضعت في سياق غربي، له خصوصياته المميزة، وقد بلورت منهجيا لتكييفها مع الأوضاع المحلية، واستنباتها بشكل تعسفي لا يراعي خصوصياتها، مع السعي الجاد إلى زرعها في تربة تأبى الاستجابة؛ نظرا لاختلاف بيئة المصدر عن بيئة المستورد الذي يرى في هذه النظرية المستنبطة حلا سحريا لإنقاذ الوضع التعليمي المتدهور، وذلك تطبيقا للمقولة الرائجة : «يتأثر المغلوب دائما بالغالب».

وندعو في هذه الدراسة إلى تطبيق نظرية تربوية جديدة في العالم العربي سمينها بالنظرية الإبداعية أو البيداغوجيا الإبداعية. إذ، ما هي هذه النظرية؟ وما هو سياقها الظرفي؟ وما هي غاياتها وأهدافها؟ وما هي مرجعياتها النظرية ومركزاتها المنهجية والتطبيقية؟ وكيف يتم تنزيل هذه النظرية ديدكتيكا تخطيطا وتديبرا

المغربي إبان الحماية تعليمًا انتقائيًا نخبويًا تصنيفيًا (التعليم الإسلامي، والتعليم الأوروبي، والتعليم الإسرائيلي، والتعليم الأمازيغي).

– مرحلة التأسيس وبناء المدرسة الوطنية التي ظهرت بعد الاستقلال مباشرة، وذلك بتطبيق نظرية البديل الوطني، أو ما يسمى أيضًا بنظرية المبادئ الأربعة، وهي: التعميم، والتوحيد، والتعريب، والمغربة.

– مرحلة الاستواء والعطاء والإنتاج إبان مرحلة السبعينيات من القرن العشرين، إذ ساهمت المدرسة المغربية في تكوين جيل من الأطر المتميزة والمنفتحة والواعية التي عرفت بالإبداع والمهارة والحدق وجودة الملكات، وتميزت بالمساهمة الكبيرة في تحريك الاقتصاد المغربي، وإغناء الثقافة العربية، وإثراء الفكر الإنساني.

– مرحلة النكوص والتراجع التي بدأت مع سياسة التقويم الهيكلي في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، إذ تراجعت المدرسة المغربية عن جودتها الكمية والكيفية؛ بسبب الأزمات التي كان يتخبط فيها المغرب سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا واجتماعيًا وثقافيًا، خاصة مع حرب الصحراء، زيادة على الضغوطات الدولية الخارجية التي تتظاهر بكل وضوح في قرارات المؤسسات المالية، كمؤسسة البنك العالمي ومؤسسة صندوق النقد الدولي.

– مرحلة الإصلاح التربوي التي بدأت في أواخر التسعينيات من القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة، وقد استهدفت الدولة ضمن هذه المرحلة إنقاذ الوضع التربوي المغربي المتردي الذي أصبح لا ينسجم مع شروط ومعايير المدرسة الدولية؛ مما كان سببًا في تراجع مستوى التلاميذ والطلبة، وكان مؤشرًا دالًا على انعدام مصداقية الشهادات المغربية، ولاسيما شهادة الباكلوريا التي تراجع مستواها العلمي الحقيقي. وهذا ما دفع المسؤولين إلى التفكير بجدية في إصلاح التعليم، وذلك عن طريق إيجاد «الميثاق الوطني للتربية والتكوين»، مع الاستفادة من بيداغوجيا المجزئات وبيداغوجيا الكفايات والإدماج، ورفع شعار الجودة التربوية. وعلى الرغم من جدية مبادئ «الميثاق الوطني للتربية والتكوين»، وأهميتها النظرية والتطبيقية، فلم تتحقق الجودة التي كانت تنادي بها وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر في أرض الواقع، إذ كانت الوزارة تشتغل على تحقيق الجودة الكمية على حساب الجودة الكيفية، وهي الجودة الحقيقية، والجودة المطلوبة. ولهذا السبب، أفرزت الوزارة مؤسسات تعليمية متعثرة ماديًا وماليًا ومعنويًا، تفتقد إلى الجودة العلمية، والمشروعية البيداغوجية، والمصادقية

والحاضر. بمعنى أن المدرسة وسيلة للتطبيع الاجتماعي، وإعادة إدماج المتعلم داخل المجتمع. أي: تقوم المدرسة بتكييف المتعلم، وجعله قادرًا على الاندماج في حضن المجتمع. إذ، تقوم المدرسة بوظيفة المحافظة والتطبيع، ونقل القيم من جيل إلى آخر عبر المؤسسة التعليمية. ويعني هذا أيضًا أن المدرسة وسيلة للمحافظة على الإرث اللغوي والديني والثقافي والحضاري، ووسيلة لتحقيق الانسجام، والتكيف مع المجتمع. أي: تحويل كائن غير اجتماعي إلى إنسان اجتماعي، يشارك في بناء العادات نفسها التي توجد لدى المجتمع. وهذا يؤدي إلى أن تكون المدرسة مؤسسة توحيد وانقاء واختيار. ويعني هذا كذلك أن المدرسة توحد عبر التكيف الاجتماعي، ولكنها تميز بين الناس عبر الانتقاء والاصطفاء. ومن ثم، فالوظيفة الأولى للمدرسة هو زرع الانضباط المؤسساتي والمجتمعي. ويرى مارسيل بوستيك: «بأن كل نظام مدرسي يتسم بسمة المجتمع الذي أنشأه. وهو منظم حسب مفهوم التصور المعطى للحياة الاجتماعية، ولدواليب الحياة الاقتصادية، والروابط الاجتماعية التي تحرك هذا المجتمع. ولهذا، حل علماء الاجتماع بصورة مباشرة أو غير مباشرة الصلات بين العلاقة التربوية والنظام الاجتماعي، نظرًا لأنهم يعدون التربية بمثابة مؤسسة، مهمتها تكيف الشباب مع حياة الجماعة بواسطة إجراءات معقدة الاستنباط»⁽¹⁾.

ونستخلص من كل هذا أن المدرسة المغربية مدرسة تقليدية محافظة بشكل من الأشكال، تكرس التبعية، وتعمل على تكوين الوراثة بمفهوم بيير بورديو (P.Bourdieu)، كما يوضح ذلك في كتابه (الورثة Les Héritiers). كما أن الأوضاع الاقتصادية والضغوطات الاجتماعية والمؤسسات الدولية الخارجية هي التي تغير المدرسة المغربية، وتؤثر فيها سلبًا.

ومن جهة أخرى، يمكن القول: لقد قطعت المدرسة المغربية عدة أشواط، وعرفت عدة أنماط في مسارها البيداغوجي والديداكتيكي، ويمكن حصرها في المسارات التالية:

– المدرسة الاستعمارية التي ظهرت إبان الحماية من 1912م إلى 1956م، وتهدف هذه المدرسة إلى القضاء على الكتابات الدينية والجوامع القرآنية، ومحو ثوابت الأمة المغربية، والتشديد على الفصل بين البرابرة وإخوانهم العرب، وذلك مع صدور الظهير البربري سنة 1930م، علاوة على محاربة كل النزعات الثورية التحررية التي تسعى إلى استقلال المغرب. وكانت هذه المدرسة تعمل أيضًا على ضرب الوحدة الوطنية، والطعن في اللغة العربية، والتشكيك في الدين والقيم الإسلامية والهوية المغربية عن طريق محاولات التنصير، وفرنسة المؤسسات التعليمية المعاصرة. ومن ثم، يعد التعليم

والتحديث، وتجاوز التقليد والمحاكاة، إلى ما هو أصيل وبناء وهادف. ومن هنا، فالإبداعية هو فعل الإنشاء، وخلق أشياء جديدة، وبلورة تصورات وأفكار ومشاريع أخاذة قائمة على اختراع مفاهيم جديدة، وابتكار مناهج وطرائق حديثة في التعامل مع الظواهر المادية والمعنوية.

وتأخذ كلمة الإبداعية دلالات اصطلاحية تختلف من حقل إلى آخر، فالإبداعية في التصور الديني هو خلق الله للعالم والإنسان من العدم. أي: من لا شيء. ومن ثم، فكلمة الإبداعية ترادف الخلق والإيجاد، وإنشاء الكون. بينما يعني الإبداع في المجال الفقهي البدع والمستجدات التي لم يستوجبها الشرع، فكل بدعة ضالة، وكل ضلالة في النار، وأصحاب البدع هم أصحاب المستحدثات.

أما في المجال العلمي، فتعني الإبداعية الاختراع والاكتشاف. بينما يقصد بها في مجال الأدب والفن والفلسفة خلق نظريات وتصورات فكرية ومبادئ نسقية جديدة منسجمة وغير متناقضة، وتالیف نصوص تمتاز بالحدثة والتجديد والانزياح والغربة والخرق.

والمقصود بالإبداعية في مجال اللسانيات التوليدية التحويلية، كما عند مؤسسها الأمريكي نوا م شومسكي (N.Chomsky)، خلق جمل لا متناهية العدد بواسطة قواعد متناهية العدد، أو تغيير القواعد النحوية وتبديلها: «إن الإنسان ليس مالكا لدولاب اللغة فحسب، فعند التحدث لا يكتفي بإعادة الجمل، بل يخلق جملا جديدة، ربما لم يسمعها قبل. وبالتالي، فالحديث ليس إعادة لجمل سمعت، بل هو عملية إبداع، ويبدو أن هذا هو المظهر الأساسي الموجود بالقوة. وفي هذا الصدد، يقول الفرنسي نيكولا روفيت (Nicolas Ruwet): «إنه من الاستثنائي والناذر إعادة الجمل، فالإبداع المتفق مع نحو اللغة هو القاعدة في الاستعمال العادي للتحدث يوميا. والفكرة القائلة: إن الإنسان يملك رصيذا لغويا، ذخيرة من البيانات، يأخذ منها كلما استدعت الحاجة لذلك، إنما هي خرافة لا تمت بصلة إلى استعمال اللغة كما نلاحظه. ويميز شومسكي بين نوعين من الإبداع:

أ- إبداع يبذل القواعد النحوية، وهو خاصية الموجود بالفعل.

ب- إبداع يمكننا من إيجاد عدد لا متناه من الجمل، وهو ناتج عن تطبيق القواعد النحوية. ويسمى هذا الإبداع إبداعا محكوما بالقواعد. ووجوده ممكن بطبيعة القوانين النحوية نفسها التي يمكن لها أن تتوالد إلى ما لا نهاية. وعلى هذا المنوال، يصير الموجود بالقوة كمجموعة مكونة من عدد محدود من القوانين، وقادرة على إنشاء عدد لا محدود من الجمل. أضف إلى ذلك، أن

الأخلاقية. و بالتالي، فقد انعدمت الثقة لدى المربين والأسر والإداريين في المدرسة المغربية التي أصبحت مدرسة لتفريخ العاطلين و اليائسين من مستقبل البلاد. لذلك، فقد اختار الطلبة المتخرجون سبيل الهجرة السرية إلى الضفة الأخرى حلا لمشاكلهم، و ملاذا أخيرا لوضع نهاية لحياتهم المأساوية داخل وطنهم، الذي كان يعج بمجموعة من المفارقات والتناقضات الجدلية على جميع الأصعدة والمستويات.

هذا، و تستلزم كل هذه المراحل التي تؤرخ لتطور السياسة التعليمية، وتطور الفلسفة التربوية، إعادة النظر في النظام البيداغوجي المغربي، والتفكير في فلسفات تربوية أخرى، جديرة بإنقاذ المدرسة الوطنية من أزمتها ومشاكلها التي تتخبط فيها، وذلك من أجل تحصيل جودة حقيقية، و تحقيق حدثة تقدمية تؤهل المغرب للحاق بمصاف الدول النامية أولا، وبالدول المتقدمة ثانيا.

ومن النظريات التربوية التي نرى أنها كفيلة بإخراج المغرب من شرقة التخلّف و الانحطاط والاستلاب، نختار لكم النظرية التربوية الإبداعية (La pédagogie de la créativité). فما هو مفهوم هذه النظرية ياترى؟

مفهوم النظرية الإبداعية لغة واصطلاحا:

تشق كلمة الإبداعية من فعل بدع وأبدع. فبدع الشيء» يبدعه بدعا وابتدعه - في «لسان العرب» لابن منظور- بمعنى أنشأه وبدأه. وبدع الركبة: استنبطها وأحدثها. وركي بديع: حديثه الحفر، والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال. وفلان بدع في هذا الأمر أي أول ولم يسبقه أحد. وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة. والبديع: من أسماء الله تعالى. والبديع: بمعنى السقاء والحب. والبديع: الزق الجديد والسقاء الجديد. وأبدعت الإبل كبركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال يقال: أبدعت به راحلته إذا ظلعت. ويقال أبدع فلان بفلان إذا قطع به وخذله ولم يقدّم بحاجته. وأبدعت حجة فلان أي بطلت حجته أي بطلت. وبدع يبدع فهو بديع إذا سمن. وأبدعوا به: ضربوه. وأبدع بالسفر وبالصح: عزم عليه.⁽²⁾

وتدل كلمة الإبداعية (Créativité) في القواميس الأجنبية على القدرة على الإبداع والاختراع والتجديد والإنشاء والتأليف والتكوين والتأسيس والإخراج والخلق. ومن أصداد الإبداع في هذه القواميس التقليد واللاوجود والهدم والتخريب والنقل والنفي.⁽³⁾

ويفهم من هذه الدلالات اللغوية الاشتقاقية أن الإبداعية تدل على الخلق والاختراع والاكتشاف والتجديد

المخزنة في الذاكرة، وتفتيقها أثناء مواجهة الوضعيات الجديدة في الواقع الميداني والنظري والافتراضي.

مرتكزات النظرية الإبداعية :

تتكئ النظرية الإبداعية التربوية على مجموعة من الأسس والمرتكزات، ومن أهمها : السعي الدائم وراء التحديث والتجديد، وتفادي التكرار والاجترار واستنساخ ما هو موجود سلفاً، وتجنب أوهام الحداثة الشكلية والزائفة بالمفهوم الأدونيسي، واعتماد حداثة حقيقية وظيفية بناءً وهادفة، تنفع الإنسان في صيرورته التاريخية والاجتماعية. ولن تتحقق هذه الحداثة إلا بالتعلم الذاتي، وتطبيق البيداغوجيا اللاتوجيهية أو المؤسساتية أو الملكاتية، والاسترشاد بنظرية الذكاءات المتعددة، وتمثل تربية القيم والمواطنة وحقوق الإنسان، ودمقرطة الدولة وكل مؤسساتها التابعة لها. ويعني هذا أن البيداغوجيا الإبداعية لن تنجح في الدول التي تحتكم إلى القوة والحديد، وتسبب نظاماً ديكتاتورياً مستبدًا ؛ لأن الثقافة الإبداعية هي ثقافة تغييرية راديكالية ضد أنظمة التسلط والقهر.

ولا يمكن الحديث أيضاً عن النظرية الإبداعية إلا إذا كان هناك تشجيع كبير لفلسفة التخطيط والبناء والتدبير، وإعادة البناء والاختراع والاكتشاف، وتطوير البحث العلمي، وتنمية القدرات الذاتية والمادية من أجل مواجهة كل التحديات.

ومن الشروط التي تستوجبها النظرية الإبداعية الاحتكام الدائم إلى الجودة الحقيقية كما وكيفا، وذلك حسب المقاييس العالمية، والتي لا يمكن الحصول عليها إلا بتخليق المتعلم والمواطن بصفة خاصة، والمجتمع بصفة عامة. ويعد الإتيان من الشروط الأساسية لما هو إبداعي ؛ لأن الإسلام يحث على إتقان العمل، ويحرم الغش والإثراء غير المشروع. ولا بد من ضبط النفس أثناء التجريب، والاختبار، وتنفيذ المشاريع العلمية والتقنية، مع التروي في إبداعاتنا على جميع الأصعدة والمستويات والقطاعات الإنتاجية، والاشتغال في فريق تربوي متميز كفاءة ومهارة وحذاً وكياسة، والانفتاح على المحيط العالمي قصد الاستفادة من تجارب الآخرين، والمساهمة بدورنا في خدمة الإنسان كيفما كان. ومن هنا، فلا بد أن يكون التعليم الإبداعي منفثاً على محيطه، وفي خدمة التنمية المحلية والجهوية والوطنية والقومية والإنسانية.

هذا، وترفض النظرية الإبداعية التقليد المجاني والمحاكاة السائبة العمياء، والاتكال على الآخرين، واستيراد كل ما

الإنسان يتميز لسانيا عن الحيوان بالقدرة الإبداعية. في حين، يعتمد الحيوان على ما هو فطري وغريزي تكراري.

مفهوم الإبداعية في مجال البيداغوجيا :

يقصد بالنظرية الإبداعية في مجال البيداغوجيا أن يكون المتعلم أو المتدرب مبدعاً قادراً على التأليف، والإنتاج، ومواجهة الوضعيات الصعبة المعقدة بما اكتسبه من تعلمات وخبرات معرفية ومنهجية. وتتمظهر الإبداعية في الاختراع، والاكتشاف، وتركيب ما هو آلي وتقني، وتطوير ما هو موجود ومستورد من الأشياء، وإخراجها في حلة جديدة، وبطريقة أكثر إتقاناً ومهارة وجودة. ولا بد أن يكون ما هو مطور قائماً على البساطة والمرونة والفعالية التقنية والإلكترونية وسهولة الاستعمال. ويرى عبد الكريم غريب أن البيداغوجيا الإبداعية هي «الأنشطة والعمليات المنظمة التي يقوم بها المتعلم لأجل ابتكار أفكار أو اكتشاف أشياء تتميز بنفردتها»⁽⁴⁾.

ومن ثم، تستند الإبداعية إلى الذكاءات المتعددة، وامتلاك الكفاءة المهارية، والتسلح بالقدرات الذاتية التعليمية في مواجهة أسئلة الواقع الموضوعي، وذلك عن طريق تشغيل ما يدرسه المتعلم في مقطع دراسي، ويستوعبه في السنة الدراسية، أو يكتسبه عبر امتداد الأسلاك الدراسية من أجل التكيف مع الواقع، والتأقلم معه إما محافظة وإما تغييراً.

هذا، وقد تعتمد الإبداعية على تحليل النصوص وفهمها وتفسيرها وتاويلها، والقدرة على استنباط معانيها السطحية والثاوية في العمق. وقد تتجاوز الإبداعية هذا المفهوم التحليلي النصي إلى تقديم تصورات فكرية نسقية جديدة حول الإنسان والمعرفة والكون والقيم، تضاف إلى الأفكار الفلسفية الموجودة في الساحة الثقافية. ويمكن أن تكون الإبداعية هي تجريب نظريات وفرضيات علمية جديدة، والإدلاء بأطروحات منهجية ومعرفية تسعف الإنسان أو الدولة على استثمارها للصالح العام.

ويمكن أن تكون الإبداعية في مجال الفن هو رسم لوحات تشكيلية، ونحت شخصيات تنم عن تصورات حديثة، أو إخراج فيلم أو مسلسل أو مسرحية فيها الكثير من الإضافات الفنية الجديدة. ومن ثم، فالإبداعية نظرية تربوية تهدف إلى تربية التلميذ تربية إبداعية ومهارية وملكاتية، وتعويداً على الخلق والإنتاج والإبداع والابتكار والاختراع والتجديد والتطوير والتركيب والتأليف، بعد الابتداء بالحفظ وتقوية الذاكرة، والاستعانة بعمليات التدريب والتمرين والمحاكاة، وتمثل المعارف السابقة

بنظريات التربية لدى علمائنا القدامى التي تركز على الحفظ والعقل والنقد والحوار على حد سواء، والتشديد على فلسفة القيم والمواطنة وحقوق الإنسان.

فلسفة البيداغوجيا الإبداعية وغاياتها :

تهدف البيداغوجيا الإبداعية إلى تكوين مواطن صالح يغير مجتمعه، ويساهم في تطويره، والرفع من مراتبه. كما يساهم في الحفاظ على كينونة أمتهم ومقوماتها الدينية، ويسعى جاهدا من أجل تنميتها بشريا وماديا، وحمائيتها من المعتدين عن طريق الدفاع عنها بالنفس والنفيس، وإعداد القوة البشرية والعلمية والتقنية من أجل المجابهة والتحصين والدفاع. ويعني هذا أن البيداغوجيا الإبداعية نظرية تعمل على تكوين جيل من المتعلمين يمتلك العلم والتكنولوجيا، ويكون مؤهلا بالقدرات والملكات الكفائية في جميع التخصصات، وذلك من أجل تسيير دفة المجتمع، وتوجيهه الوجهة الحسنة والسليمة، مع تحلي هذا الجيل بالأخلاق الفاضلة التي تؤهله لخدمة المجتمع والوطن والأمة على حد سواء.

ومن أهداف البيداغوجيا الإبداعية العمل على خلق مدرسة عملية نشيطة، يحس فيها التلميذ بالحرية والخلق والإبداع. وبالتالي، تتحول هذه المدرسة إلى ورشات تقنية ومقاولات صناعية ومختبرات علمية ومحترفات أدبية وقاعات فنية من أجل المساهمة في الاقتصاد الوطني والعالمي. ولا بد أن يتعود التلميذ في هذه المدرسة على التحكم في الآلة تفكيكا وتركيبا وتطويرا، واختراع آلات جديدة لتنمية الاقتصاد، وتحديث الصناعة الوطنية على غرار المدارس الآسيوية في دول التينينات أو اليابان أو المدارس الغربية.

ولا يمكن أن نخلق تلميذا مبدعا إلا إذا كانت الإدارة وهيئة التعليم والإشراف تتوخى التغيير والإبداع، وتهوى التنشيط بكل آلياته المختلفة والمتنوعة، ولها الرغبة الحقيقية في العمل الهادف المتنامي، والقدرة على المساهمة في البناء والخلق والتطوير والتجديد من أجل تحقيق الأهداف الوطنية والقومية. ولا يمكن كذلك أن نحصل على هذه الشرائح المبدعة الراغبة في الخلق والتطوير والتحديث، إلا إذا حسنا أوضاعها المادية والمالية، وحفزناها معنويا واجتماعيا ومهنيا، ووضعنا كل شخص في مكانه المناسب اعتمادا على معايير العمل والعلم، مع إبعاد الترقية بالأقدمية والاختيار التي تسيء إلى الفلسفة الإبداعية وبيداغوجيا الخلق والتجديد.

وبناء على ما سبق، تسعى المدرسة الإبداعية إلى استكشاف الجديد، والاهتمام بالمخترعات التكنولوجية،

هو جاهز، واستبدال كل ذلك بالتخطيط المعقلن والمدير، وإنتاج الأفكار والنظريات عن طريق التفكير في الماضي والحاضر والمستقبل، وتمثل التوجهات البراغمية العملية المفيدة، ولكن بشرط تخليقها لمصلحة الإنسان بصفة عامة.

هذا، وينبغي أن ينصب الإبداع على ما هو أدبي وفني وفكري وعلمي وتقني ومهني وصناعي وإعلامي، وذلك في إطار نسق منسجم ومتناغم لتحقيق التنمية الحقيقية والتقدم والازدهار النافع لوطننا وأمتنا.

ومن المعلوم، أن الدول الغربية لم تتقدم إلا بتشجيع الحريات الخاصة والعامة، وإرساء الديمقراطية الحقيقية، وتشجيع العمل الهادف، وتحفيز العاملين ماديا ومعنويا. ومن ثم، تعد فكرة التشجيع والتحفيز، وتقديم المكافآت المادية والرمزية، والاعتداد بالكفاءة الحقيقية، من أهم مقومات هذه البيداغوجيا العملية الحقيقية، ومن أهم أسس التربية المستقبلية القائمة على الاستكشاف والاختراع والابتكار.

المرجعيات النظرية التي تعتمد عليها البيداغوجيا الإبداعية :

تستوحي البيداغوجيا الإبداعية مرتكزاتها النظرية والتطبيقية من نظرية اللسانيات التوليدية التحويلية التي تركز كثير على الإبداعية اللغوية على مستوى الإنجاز، وتوليد الجمل اللامتناهية العدد من خلال قواعد نهائية ومحددة، واستعمالها بشكل إبداعي متجدد. كما تعتمد النظرية الإبداعية على إيجابيات بيداغوجيا الأهداف والكفايات والمجزوءات ونظرية الجودة التربوية، والتخلي عن سلبياتها المعيقة. ومن ناحية أخرى، تتبنى مبادئ التربية الحديثة والمعاصرة، مع تمثل الفلسفة البراغمية المخلقة، وتنفيذ مقررات الحياة المدرسية، والأخذ بفلسفة التنشيط التربوي، والاستهداء بنظرية الذكاءات المتعددة، والاستفادة من مبادئ مدرسة المستقبل، ونظرية الملكات كما لدى الدكتور محمد الدريج⁽⁵⁾.

هذا، وتستلهم هذه النظرية التجارب التربوية في الدول الغربية المتقدمة التي تربط المدرسة والتعليم بالممارسة العملية، وسوق الشغل، والبحث العلمي، والاختراع الآلي والتقني، وتقرنه كذلك بالتنمية والتقدم والازدهار، وتعتمد أيضا على الطرائق البيداغوجية الفعالة، والتعليم الإقراضي المسرحي، والاستفادة من نظريات التدبير والشاركة والمشاريع، والانفتاح على النظريات المستقبلية، والتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، والتأثر

الدروس والمحاضرات طول حياة الإنسان لمسيرة كل ما هو جديد وحديث؛ لأن المعرفة تتقدم بسرعة. لذا، فعلى وزارة التربية والتعليم - مثلاً - من إعادة تكوين التلاميذ والمدرسين ورجال الإدارة على حد سواء، بغية تأهيلهم في مختلف حقول المعرفة، سواء أكان ذلك في مادة تخصصهم أم في مواد معرفية أخرى، قريبة أم بعيدة عن مجال اهتمامهم. وكل هذا من أجل تطوير العدة المهنية أو الحرفية، ومن أجل الحفاظ على الإنتاجية، وخلق حياة عملية نشيطة ومحفزة، وتطوير القدرات المهنية والمهارات الحرفية.

الإجراء العملي للبيداغوجيا الإبداعية :

يستوجب تحقيق البيداغوجيا الإبداعية المرور بمجموعة من المراحل الأساسية، وذلك حسب مسار التعلم، وتعاقب أسلاك المدرسة من المستوى الابتدائي حتى المستوى الجامعي. وتبدأ البيداغوجيا الإبداعية منهجياً بمرحلة الحفظ، وهي ملكة تراثية مهمة في تقوية قدرات المتعلم، وصقل ملكاته الذهنية والعقلية. وتأتي بعدها مرحلة التقليد والمحاكاة والتدريب والتمرين، وتمثل ما هو جاهز سلفاً في الأسلاك الدراسية الأولى بشكل مؤقت. وبعد ذلك، ننتقل إلى مرحلة التركيب، وإعادة الإنتاج والتوليد، التجريب في الأسلاك الدراسية المتتالية، لننتهي بمرحلة الإبداع والخلق والتجديد والتحديث والانزياح، والاستقلال بتصورات ومشاريع علمية وتقنية وفنية وأدبية جديدة، لها مواصفات الملكية القانونية والإبداعية. وتنتهي هذه المراحل كلها بالتطبيق، وإنجاز المشاريع الإبداعية إجرائياً وواقعياً في الميدان، وربط ما هو نظري بالممارسة والتطبيق الفوري.

وبناء على ماسبق، تعتمد البيداغوجيا الإبداعية على المراحل التالية:

- مرحلة الحفظ، وتكون بتقوية الذاكرة الذهنية لتتسع لكل المعارف المقدمة.
- مرحلة التقليد والمحاكاة والتدريب والمران والتكرار.
- مرحلة التجريب والتركيب وإعادة البناء.
- مرحلة الخلق والإبداع والتجديد والتحديث.
- مرحلة التطبيق والإنجاز والممارسة الميدانية.

هذا، وتستلزم البيداغوجيا الإبداعية، في أثناء وضع المقررات والمناهج والبرامج الدراسية، أن تحترم هذه المراحل كلها مع تحديد خطواتها البيداغوجية والديداكتيكية. ولا بد كذلك من تمثيل مبادئ الحياة

وتجديد المفاهيم الموروثة، وتطوير آليات البحث العلمي معرفياً وتقنياً وصناعياً. ولا بد من آلية التسريع في الاكتشاف والاختراع والإبداع. وتعطى الأولوية لتأهيل الموارد البشرية، والابتعاد عن السياسات المركزية، باستشارة الطاقات والكفاءات الجهوية والمحلية، والانتقال من التسيير المركزي إلى التسيير الجهوي والمحلي. والأخذ بالنظام التعليمي النظري والتطبيقي، والأخذ بالتكوين المستمر، وتطوير البيئة الصناعية والتقنية، والأخذ بسياسة التنافس والإنتاجية، وتقديم الكفاءات، وتشجيعها وتحفيزها، والبحث عن المشاريع، وتحويل المدرسة إلى ماركيتينغ (Marketing)، بحثاً عن الممولين والمشاريع الإيجابية، واستكشاف أسواق جديدة لتصريف المنتج التربوي والعلمي، والأخذ أيضاً بالخصوصية التعليمية، وربط المدرسة بسوق الشغل، وذلك عن طريق القضاء على الأمية والجهل والفقر، وأيضاً عبر التحكم في الإعلاميات، وإتقان اللغات الأجنبية، وتطوير التجارة الرقمية، وتطوير المنظومة الإعلامية. ولا بد من تحويل الخدمات التعليمية إلى وسيلة للتبادل بين الأنظمة التربوية العالمية، وجعل الخدمات التعليمية آلية للتبادل الاقتصادي والتجاري. ولا بد أن تكون الشهادات المقدمة من قبل المدرسة الإبداعية معترفاً بها عالمياً في ضوء الاحتكام إلى مقاييس الجودة والتميز والتفرد، والانضمام إلى المقررات العالمية الموحدة.

أضف إلى ذلك، فلا بد أن تكون المدرسة التربوية الإبداعية مؤسسة اجتماعية عادلة ومتوازنة، تجمع أبناء العمال مع أبناء الأوطان في فضاء تربوي سعيد، تذوب فيه الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، وذلك بتشجيع المواطنة والتضحية وخدمة الأمة، وتطبيق نظرية الذكاءات المتعددة في استكشاف الفوارق الفردية، والاهتمام بذوي الحاجيات الخاصة.

وعلى العموم، تتقدم النظريات العلمية والتربوية بتقدم المجتمع، ويتقدم الجهاز المعرفي والإبستمولوجي للنظام المتحكم في بناء المعرفة وإنتاجها. ومن ثم، لا بد للإنسان من التعلم الذاتي والتكوين المهني المستمر ليكون قريباً مما هو مستجد في الساحة الثقافية والأدبية والعلمية والتقنية والفنية والمعرفية. ومن ثم، فأساس النهضة الحقيقية والتنمية المستدامة هو التكوين الحرفي والمهني المستمر القائم على البحث الشخصي، والتعلم الذاتي، والحضور إلى ورشات التكوين والتأهيل؛ لمسيرة مستجدات المعرفة الإنسانية التي تتطور كل يوم بوتيرة سريعة، من الصعب تطويقها والتحكم فيها. ويعني كل هذا أن الإنسان عليه أن يتعلم طول حياته، سواء أكان تلميذاً أم طالباً أم موظفاً أم حرفياً. فالمعرفة لا تتحدد بوقت معين، بل لا بد من متابعة

التدبير الديداكتيكي الإبداعي:

يرتكز التدبير الديداكتيكي في المدرسة الإبداعية على مجموعة من المبادئ والآليات النظرية والتطبيقية، وهي على الشكل التالي:

الانطلاق من الفلسفة الإبداعية:

من الضروري أن ينطلق المدرس والمتعلم معا من الفلسفة الإبداعية تصورا ومنهاجا وبرنامجا، فيختار المدرس في جاذبته المجال الإبداعي الذي يريد الاشتغال عليه، أو تنميته نظرية وتطبيقا وتقويما، كان يكون المجال الإبداعي رياضيا، أو موسيقيا، أو طباعيا، أو تقنيا، أو إعلاميا، أو أدبيا، أو فنيا، أو تشكليا... فيختار الآليات والأنشطة التي تحقق هذا المجال على مستوى إعادة الإنتاج كتابة أو شفويا ومهاريا أو صناعيا أو تقنيا. ويقوم العمل الإبداعي داخل القسم على إعداد وضعيات ديداكتيكية وتنظيمها، تتميز بالخصائص المحددة للنشاط الإبداعي، وهي:

- وضع التلاميذ في وضعية تمكنهم من إدراك مشكل، والشعور بالحاجة إلى الإبداع والابتكار.
- تمكين التلميذ من تقديم أكبر قدر من الأفكار والألفاظ.
- فالعمل الإبداعي يتميز بسيولته الفكرية. أي: إنتاج قدر كبير من الأفكار أو سيولة لفظية. أي: إنتاج قدر من الألفاظ والتسميات.
- مرونة النشاط، حيث يتمكن المتعلم من الانتقال من مجال إلى آخر، والتكيف مع معطيات جديدة.
- أصالة الإنتاج الذي يصدره المتعلم، مثل: الأجوبة غير المألوفة والأفكار الجديدة والخاصة.
- إعادة بناء الأشياء والأفكار في شكل جديد.⁽⁶⁾
- علاوة على ذلك، تتميز البيداغوجيا الإبداعية بجعل التلاميذ يواجهون مشكلا يدفعهم إلى الابتكار، مع تقييم المنتجات، واختيار الأفضل منها⁽⁷⁾.
- ومن جهة أخرى، «تستند هذه البيداغوجيا - حسب نموذج جيلفورد- إلى ثلاثة أنماط من التفكير، وهي:
- 1- التفكير المغاير أو المتشعب، وفيه تنتج أفكار وآراء متعددة ومتنوعة.
- 2- التفكير التقييمي، الذي يمكن من الفحص والاختبار والتجريب.
- 3- التفكير المماثل أو المتجمع، الذي يتجه فيه التلاميذ إلى الاتفاق حول معنى واحد.

المدرسية، والأخذ بفلسفة التنشيط المدرسي، وتغيير استعمالات الزمن لتواكب هذه النظرية، وتأهيل الأطر التربوية والإدارية وأطر الإشراف لتكون في مستوى هذه النظرية البيداغوجية الجديدة.

هذا، ونبه المسؤولين عن قطاع التربية والتعليم أن هذه النظرية لا يمكن أن تنجح إلا إذا شيدت مدارس تربوية مركبة، تضم الورشات والمختبرات والمحترفات التطبيقية والأقسام النظرية. أي: لابد أن تكون المدرسة نظرية وتطبيقية، تجمع بين ما هو نظري وما هو مهني وعلمي، وتكون بمثابة ورشة تقنية، ومختبر علمي، وقاعة للفنون والآداب، ومتحف لعرض المنتجات الفنية، ومسبح لتعلم السباحة، وقاعة للرياضة البدنية، بغية خلق أجيال رياضية متميزة، تساهم في رفع راية الوطن في أعالي السماء.

ومن هنا، لابد أن يكون الإبداع شاملا ومترباطا ومتناسقا، ولابد أيضا من بناء مؤسسات تربوية خاصة بالمتفوقين والأذكياء والعابرة، كما هو الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية وفي روسيا؛ نظرا لما لهؤلاء من قدرات خارقة، يمكن استغلالها في اختراع الأسلحة المتطورة، وإنتاج النظريات العلمية والأدبية والتقنية من أجل تحقيق التقدم والازدهار. وينبغي أن تكون المقررات الدراسية عبارة عن وضعيات إبداعية معقدة وصعبة ذات مصداقية عملية وعلمية وواقعية، وذات أهداف مفيدة ونافعة في الحاضر والمستقبل.

وعليه، فمن الأكيد أن المدرسة المغربية بظروفها الحالية، وأوضاعها المتردية، وواقعها المحبط، لا يمكن أن تفرض نفسها في عالم اليوم، الذي يتسم بالمنافسة الحادة، والصراع الشرس بين مجموعة من الأقطاب الاقتصادية الكبرى (الصين، واليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، والبرازيل، والتينينات الأربعة...). تلك المنافسة القائمة على العلم والثقافة، وإنتاج المعلومات وتسويقها، وتمثل التكنولوجيا المعاصرة في كل مستوياتها ومجالاتها المتنوعة. ومن ثم، لابد للمدرسة المغربية بصفة خاصة، والمدرسة العربية بصفة عامة، من أن تنمو في محيط إبداعي متفرد، يؤمن بالحرية، والديمقراطية، والجودة، والإنتاجية، واعتماد معايير التنافس، والإتقان، والحدثة، والتميز، والاختراع، والابتكار، وإنتاج النظريات في مختلف مجالاتها المعرفية والعلمية. ويعني هذا الابتعاد عن مدرسة الخنكة المستبدة، واستبدال مدارسنا بمدارس التنشيط الثقافي والعلمي والفني، وتمثل مبادئ الحياة المدرسية، والأخذ بفلسفة الشراكة في تطبيق مشاريع المؤسسة، وتطبيق اللاتوجيهية في التدريس والتوجيه والتعليم، والأخذ ببيداغوجيا الإبداع فلسفة وطريقة ورؤية.

الديداكتيكية المعاصرة، مثل: الاستعانة بالخطاطات الشكلية والرقمية، وتنويع الملفوظ الديباني شرحا وتفسيرا وتأييلا، واستخدام البرهان والحجاج العقلاني للإقناع والتأثير، مع التوسل بكل ماهو روحاني في التعامل مع ماهو ديني وشرعي إيماني، وتطبيق أدوات الإعلاميات والحوسبة، والاستفادة من الصورة الأيقونية والبصرية والأفلام والأقراص الرقمية. وفي الوقت نفسه، نسترشد بآليات الدرس التربوي عند علمائنا المسلمين القدامى، مثل: الإمام الغزالي، وابن خلدون، وابن سحنون، والقابسي، والسمعاني، وابن طفيل، وابن الهيثم... كأن نتمثل الحفظ الذي يقوي الذاكرة، و وينمي إدراكا، ويعمق الذكاء الدماغي والعصبي. وبعد ذلك، ننقل إلى آليات الحوار والنقد والمناقشة، وغربة الأفكار بشكل علمي وموضوعي، مع الانطلاق من الشك المنهجي نحو اليقين العلمي، كما يرى كل من ابن الهيثم، والإمام الغزالي، وابن خلدون، وعلماء الجرح والتعديل...

تحديث الطرائق البيداغوجية:

تستلزم البيداغوجيا الإبداعية تجديد الطرائق البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية لمسايرة التطور البيداغوجي، ومتطلبات سوق الشغل، والتطور العلمي والتكنولوجي. وهنا، لابد من الاستفادة من كل الوسائل الإعلامية المتاحة راهنا في الساحة الثقافية والعلمية والتواصلية، وتتبع كل الوسائل الجديدة لتجريبها، قصد تحقيق الحداثة الحقيقية، والمساهمة في إثراء المنظومة التربوية المغربية والعربية على حد سواء.

ولا يمكن ذلك لهذه العملية أن تنجح إلا إذا وفرنا للأستاذ فضاء بيداغوجيا ملائما وصالحا كمدرسة التنشيط، ومدرسة الحياة، ومجتمع الشراكة، ومؤسسة المشاريع، وإصلاح الإدارة ومقرطتها، وإصلاح المجتمع كله، وتحسين الوضعية الاجتماعية للمدرس، وتحفيزه ماديا ومعنويا، والسهر على تكوينه بطريقة مستمرة، وتحسين وسائل التقويم والمراقبة على أسس بيداغوجيا إبداعية كفائية متنوعة المراحل، وتكوين أطر هيئة التفتيش ليقوموا بأدوارهم المنوطة بهم التي تتمثل في تأطير المدرسين المبدعين، وإرشادهم إلى ماهو أحدث وأكفى وأجود. ولا يمكن أن ينجح المدرس في عملية التعليمية - التعليمية إلا إذا سن سياسة الانفتاح والتعاون والحوار، مع العمل في إطار فريق تربوي، يهتم دائما بالبحث العلمي والإنتاج الثقافي؛ لإغناء عدته المعرفية والمنهجية والتواصلية لصالح المتعلم والمدرسة المغربية.⁽⁹⁾

وتتطلب هذه العمليات من المدرس مجموعة من المواقف، مثل: احترام أسئلة التلاميذ، وأفكارهم الأصلية، وإبراز قيمتها، وفسح الفرصة للعمل الحر، وتجنب إصدار الأحكام.⁽⁸⁾

وعليه، يمكن تسويد الجذاذة المقطعية بمجموعة من المجالات الإبداعية، وإرفاقها بأنشطة استكشافية وإبداعية في شكل وضعيات ومشاكل، تستوجب تشغيل الذهن لحلها عبر آليات الإبداع ومناهج الابتكار والتجديد.

تحديث المحتويات وعصرنة المضامين:

تستلزم البيداغوجيا الإبداعية، أثناء وضع المقررات والمناهج والبرامج الدراسية، أن تحترم مرحلة الحفظ، ومرحلة التقليد والمحاكاة، ومرحلة التجريب والتجاوز، ومرحلة الإبداع. ومن جهة أخرى، تبني المقررات على مبدأ القيم والهوية الإسلامية الأصلية. ويقصد بالقيم مجموعة من الأخلاق والتمثلات السلوكية والمبادئ الثابتة أو المتغيرة التي ترتبط بشخصية الإنسان إيجابا أو سلبا. وبالتالي، تحدد كينونته، وطبيعته، وهويته، انطلاقا من مجموع تصرفاته الأدائية والوجدانية والعملية. ومن المعلوم أن كلمة القيم من الناحية الصرفية جمع قيمة. ومن ثم، تحيل كلمة القيمة على مكانة الإنسان التي يتبوأها بين الناس، وشأنه في المجتمع. كما ترتبط هذه القيمة حكما وتقييما بالأفعال البشرية والتصرفات الإنسانية بشكل ذاتي وموضوعي.

هذا، وتتخذ القيم أبعادا جمالية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية، ودينية، وفلسفية. ويعلم كل منا أن الكتب السماوية قد صورت القيم في كل مظهراتها المتناقضة، وقد حثت الإنسان على التمثل بالقيم الفضلى، والالتزام بالأخلاق السامية العليا؛ من أجل الفوز بالجنة، والابتعاد عن النار. وفي المقابل، نهته عن الإتيان بالقيم الأخلاقية المشينة المنافية لمبادئ الكتب السماوية، والمتعارضة مع شرائعها الربانية.

ويعني كل هذا أن تجدد المضامين، وتستحدث في ضوء الفلسفة الإبداعية، عن طريق إدراج ما هو جديد وعصري، مع الحفاظ على ما هو هويتي وأصيل من القيم والأفكار والتصورات.

تحديث الوسائل الديداكتيكية:

تستلزم البيداغوجيا الإبداعية أن نسترشد بالوسائل

وانتشارها، بأخرى جديدة تشتمل على المشاركة والمسؤولية. وبالتالي، على ما ييسر انطلاق الشعور الغيري.

وأخيرا، إنهم يخشون، في حال غياب التدريب المناسب، أن تنحدر الديمقراطية فتغدو حكم التفاهة والضعف.⁽¹¹⁾ إذاً، فالطرائق الفعالة والنشطة التي أفرزتها التربية الحديثة من أهم مقومات ديمقراطية التربية والتعليم، ومن أسس البيداغوجيا الإبداعية الحقيقية.

تقويم إبداعي جديد:

يمكن الحديث عن أنواع جديدة من التقويم في البيداغوجيا الإبداعية، ويمكن حصرها فيما يلي:

- تقويم الذاكرة: ينصب هذا التقويم الأولي على الحفظ، ولاسيما حفظ القرآن الكريم، والمتون الدينية والأشعار الأدبية والنظريات الرياضية والفيزيائية والعلمية والتقنية، فالحفظ ضروري في المدرسة الإبداعية؛ لأنه أس النجاح والإبداع والابتكار. ونحن ندافع عن تأصيل التربية والتعليم مغربا وعربيا، وعدم الاكتفاء بالتقليد والتجريب فقط، بل لابد من التأسيس التأصيلي لنظامنا التربوي الخاص بنا.

- تقويم المحاكاة: ويتم ذلك بالتأكد من مدى نجاح المتعلم في محاكاة النماذج الأدبية أو الفنية أو العلمية أو التقنية؛ لأن المحاكاة طريقة من طرائق الابتكار، استعدادا للانتقال إلى التجريب والإبداع.

- التقويم التجريبي: يعتمد هذا التقويم إلى رصد ما يتم تقديمه تجريبيا على المستويات: الأدبية، والفنية، والفلسفية، والعلمية، والإعلامية، والتقنية... وتقييمه في ضوء الأسس العلمية الموضوعية، ومقاييس المهارة والجودة والحدق والقياس.

- التقويم الإبداعي: يستند هذا التقويم إلى وضعيات الإبداع، ويطلب المتعلم بإبداع شخصي ذاتي في مجالات عدة: أدبية وفنية وعلمية وتقنية...

ويرتكز هذا التقويم إلى محكات الجودة والمعايير الدولية في تقويم التعلّيمات البيداغوجية والبيداكتيكية، ويكون التقدير كميا ونوعيا أو عدديا وحكميا.

الأخذ بفلسفة التنشيط:

من المعروف أن التنشيط تقنية حركية إيجابية وديناميكية، تساهم في إخراج المتعلم من حالة السكون السلبية نحو

لذا، فمن الضروري أن تخضع الطرائق البيداغوجية لتجديد جذري، يكون الهدف من وراء ذلك هو تحقيق الجودة الكمية والكيفية، وتأهيل الناشئة المغربية بطريقة كفائية، لكي تتحمل بنفسها تسيير دواليب الاقتصاد المغربي تسييرا حسنا، وتدبير المقاولات تدبيرا أفضل، لينتلاءم تحكمها الممنهج في آليات الإدارة والتشغيل، وذلك مع متطلبات سوق العمل، والدخول في المنافسة العالمية التي تزداد حدة مع تطور العولمة، وازدياد احتكاراتها العلمية والتكنولوجية والإعلامية والاقتصادية والثقافية.

ولابد من الانفتاح بشكل من الأشكال على الطرائق البيداغوجية الفعالة لتحقيق تربية إبداعية ذات مردودية ناجعة، وتعويد النشء على الديمقراطية؛ لاسيما أن هذه الطرائق الفعالة من مقومات التربية الحديثة والمعاصرة في الغرب، كما يقول السيد بلوخ (Bloch)، حينما أثبت بأن نجاح المدرسة الفعالة: «لازب من أجل بزوغ مجتمع ديمقراطي لايمكن أن يكون كذلك إلا عن طريق منطوق مؤسساته».⁽¹⁰⁾

وقد ظهرت هذه الطرائق الفعالة في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع ماريّا مونتيسوري (Maria Montessori)، وجون ديوي (Dewey)، وكلاباريد (Claparide)، وكرشنشتاير (Kerschensteiner)، وفرينيه (Freinet)، وكارل روجرز (Rogers)، ومكارنكو (Makarenko)، وأوليفيه ريبول (Reboul)، وفيريير (Ferrière)، وجان بياجيه (Piaget.)...

وتعتمد هذه الطرائق الفعالة الحديثة على عدة مبادئ أساسية ألا وهي: اللعب، وتعلم الحياة عن طريق الحياة، والتعلم الذاتي، والحرية، والمنفعة العملية، وتفتح الشخصية، والاعتماد على السيكولوجيا الحديثة، والاستهداء بالفكر التعاوني، والتسيير الذاتي، وتطبيق اللاتوجيهية، ودمقرطة التربية والتعليم...

هذا، ويؤكد أصحاب الطرائق الفعالة الحديثة بلغة تكاد تكون واحدة رفضهم القاطع للنزعة التسلطية والتلقينية مع ضرورة: «تدعيم ولادة مجتمع ديمقراطي، مادامت المدرسة التقليدية لاتكون الكيان الشخصي، كما لاتحقق الدمج الاجتماعي، بل تؤدي على العكس في أن واحد إلى تمييع المجتمع، وإلى قيام النزعة الفردية الأنانية. ويضيف أولهم، ونعني كلاباريد أن علاج مثل هذه النقيصة لا يكون بأن ندخل على هامش الأمر تربية مدنية غريبة عن أي تربية من هذا الطراز التقليدي. وجميعهم يشيد بالقيادة الذاتية لسبب وحيد هو أنهم يريدون أن يحلوا محل النظم الزجرية التي ييسر الترويض ذبوعها

والاستلاب المدمر، وقيود بيروقراطية القسم، وتخليصهم من أوامر المدرس المستبد، وتعويض كل ذلك بالمشاركة الديمقراطية القائمة على التنشيط والابتكار والإبداع، وذلك عن طريق تشييد الدولة للمختبرات العلمية، والمحترفات الأدبية، والورشات الفنية، والمقاولات التقنية، وخلق الأندية الرياضية داخل كل مؤسسة تعليمية على حدة. ويمكن للمؤسسة أن تقوم بذلك اعتمادا على نفقاتها ومواردها الذاتية في حالة تطبيق قانون سيكما (Sigma) الذي ينص عليه الميثاق الوطني المغربي للتربية والتكوين في المادة 149 ضمن المجال الخامس المتعلق بالتسيير والتدبير.

ومن المعلوم أن للتنشيط التربوي مجموعة من الأهداف العامة والخاصة يمكن تسطيرها في النقاط التالية:

- يساهم التنشيط التعليمي في تثقيف المتعلمين، وتأطيرهم معرفيا ووجدانيا وحركيا.
- تهذيب الناشئة وتخليقها لتكون في مستوى المسؤولية وأهلية المشاركة والتدبير.
- الانتقال من بيداغوجيا المدرس إلى بيداغوجيا المتعلم.

- تفعيل الحياة المدرسية وتنشيطها.

- إدخال الحيوية والديناميكية على الفعل التربوي والسلوك التعليمي.

- إخضاع الإيقاع المدرسي لمتطلبات التنشيط وشروطه الإيجابية.

- الاهتمام بميول المتعلم السيكوبيداغوجية، والحد من تصرفاته العابثة، واستيعاب تمرده النفسي والاجتماعي، وذلك عن طريق إشراكه في بناء المؤسسة التربوية عن طريق خلق مشاريع إبداعية.

- القضاء على الروتين القاتل، والثبات المدرسي، وذلك عبر عمليات التنشيط الثقافي والأدبي والفني والعلمي والرياضي.

- تطبيق فلسفة البيداغوجية الإبداعية ومبادئها الإنتاجية في التعليم المغربي.

- خلق مؤسسات تربوية نظرية وتطبيقية، وذلك عن طريق إيجاد مرافق تنشيطية، كالمحترف الأدبي والفني وقاعات الرياضة ومختبرات العلوم والتكنولوجيا.

- إيجاد منشطين مؤهلين أكفاء ليقوموا بعمليات التنشيط والتكوين والتأطير داخل المؤسسات التربوية التعليمية.

هذا، وإذا تأملنا فعل التنشيط في إطار الفضاء التربوي الإبداعي، فسنجد أنه يقوم على عدة مرتكزات نظرية وتطبيقية، ثم يستند إلى مجموعة من المفاهيم الإجرائية

حالة الفعل الإيجابي، وذلك عن طريق المساهمة والإبداع والابتكار والخلق، وإنجاز التصورات النظرية، وتفعيلها في الواقع الميداني، ليستفيد منها الآخرون.

فكم هي الأنشطة عديدة في مجال التربية والتعليم، لأن المؤسسة التربوية بمثابة مجتمع مصغرا فجميع القضايا والمواضيع التي تترك المجتمع، يمكن أن تترك المدرسة الإبداعية، مادامت هذه المؤسسة موجودة في حضان المجتمع الكبير. لذا، تعمل هذه المدرسة على إدماج المتعلمين في المجتمع الإبداعي، ليكونوا مواطنين صالحين، ويصبحوا طاقات فاعلة ناعمة للوطن والأمة على حد سواء.

ومن أهم الأنشطة التي يمكن أن يقوم بها الفضاء التربوي الإبداعي، يمكن الحديث عن النشاط التربوي، والنشاط الفني، والنشاط الأدبي، والنشاط العلمي، والنشاط الثقافي، والنشاط الإيكولوجي (البيئي)، والنشاط الاجتماعي، والنشاط الاقتصادي، والنشاط الديني، والنشاط الخيري، والنشاط السياسي، والنشاط الإعلامي، والنشاط المدني، والنشاط الرياضي، والنشاط السياحي....

وعليه، فلتنشيط أهمية كبرى في مجال التربية والتعليم، لكونه يرفع من المردودية الثقافية والتحصيلية لدى المتعلم، ويساهم في الحد من السلوكيات العدوانية، مع القضاء على التصرفات الشائنة لدى المتعلمين، كما يقلل من هيمنة بيداغوجيا الإلقاء والتلقين، ويعمل على خلق روح الإبداع، والميل نحو المشاركة الجماعية، والاشتغال في فريق تربوي.

ويمكن إخراج المؤسسة التعليمية، عبر عملية التنشيط الفردي والجماعي، من طابعها العسكري الجامد القائم القائم على الانضباط والالتزام والتأديب والعقاب، إلى مؤسسة بيداغوجية إيجابية فعالة صالحة ومواطنة، يحس فيها التلاميذ والمدرسون بالسعادة والطمأنينة والمودة والمحبة، ويساهم الكل فيها بشكل جماعي في بنائها ذهنيا ووجدانيا وحركيا، عن طريق خلق الأنشطة الأدبية والفنية والعلمية والتقنية والرياضية، يندمج فيها التلاميذ والأساتذة ورجال الإدارة وجمعيات الآباء ومجلس التدبير والمجتمع المدني.

ومن الضروري في فلسفة التنشيط الجديد، وفي تصورات البيداغوجيا الإبداعية، أن تعوض طرائق الإلقاء والتلقين والتوجيه بطرائق بيداغوجية حيوية معاصرة فعالة، تقوم على الفكر التعاوني، وتفعيل بيداغوجية ديناميكية الجماعات، واعتماد التواصل الفعال المنتج، وتطبيق اللاتوجيهية، وتمثل البيداغوجية المؤسساتية، من أجل تحرير المتعلمين من شرنقة التموضع السلبي،

الإبداعية والنقدية والبحثية، وخلق مسابقات للمدرسين في المجال الثقافي، وتكريم المتفوقين والمتميزين منهم، وطبع مؤلفاتهم وكتبهم وأبحاثهم ودراساتهم...

2 - النشاط الاجتماعي:

يعنى هذا النشاط بتأسيس التعاونيات المدرسية، والاحتفال بالأعياد الوطنية والدولية، والعمل على خلق شراكات داخلية وخارجية، وإنشاء مشاريع المؤسسة الهادفة، والتي تعمل على توفير الظروف الاجتماعية الحسنة للمتعلمين، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية للتلاميذ المرضى والمعوزين، وتشجيع تبادل الزيارات بين التلاميذ، وتوفير الكتب المدرسية، والبذلات، والأدوات المدرسية، والمحافظ، والمنح، ووسائل النقل والمأوى للمستفيدين من الطبقة الاجتماعية الفقيرة والمعوزة، وتزويد هؤلاء المتعلمين المحتاجين بالنظارات وغيرها من الأجهزة التقويمية، علاوة على إشراك التلاميذ في الحفلات المدرسية التي تقام حسب المناسبات التربوية والدينية والوطنية والعالمية.

3 - النشاط الفني:

يسعى النشاط الفني إلى إكساب المتعلمين مهارات كفاية نظرية وتطبيقية في مجال الفنون الجميلة، كالآداب، والمسرح، والسينما، والرقص، والنقد الفني، والعناية بالموسيقى والأناشيد، والاهتمام بالتنشيط المسرحي عن طريق تاطير التلاميذ والمدرسين في مجال صنع الكراكيز، والتنشيط بواسطة الدمى المتحركة، وتقديم دروس نظرية وتطبيقية في مجال المسرح القرائي والمسرح المدرسي، والعناية بمعارض الرسم والتشكيل والنحت والصور الفوتوغرافية الثابتة، وجمع الطوابع البريدية، وعرض النقود في سياقاتها السيميائية والتاريخية.

4 - المعامل التربوية:

ينبغي للمدرسة الإبداعية أن تعمل على خلق فضاءات للبستنة والتشجير، مع تقديم دروس تكوينية وتحسيسية للمحافظة على البيئة، ومساعدة المتعلمين على كيفية إنشاء جريدة أو مجلة، وذلك عن طريق استغلال معطيات الكمبيوتر، والاستفادة من تقنيات الطباعة، ودفع التلاميذ للاهتمام بتفسير الكتب، وتجويد الخط، والتدريب على التجسيم بالورقيات، وصنع الدمى والكراكيز، والكتابة على الزجاج والخشب والثوب، وتحفيزهم على الأعمال اليدوية فيما يخص أعمال الجبس، وصنع الديكور، والاهتمام بالتلحيم، وإصلاح الكهرباء...

التي لا بد من الاعتماد عليها، وتمثلها أثناء حصص التنشيط. وهذه المرتكزات هي على الشكل التالي:

- الإيمان بفلسفة الإبداع والاختراع والابتكار.
- الاتصاف بالمواطنة الصالحة.
- تمثل البعد الإقليمي والجهوي والوطني والقومي والعالمي.
- الانطلاق من التصور الإنساني.
- الاشتغال في فريق جماعي.
- الأخذ بالفلسفة التشاركية.
- الاهتمام بالفكر الديمقراطي المبني على التعاون والاستشارة والتسامح واحترام الآخر.
- ربط النظري بالتطبيقي.
- الارتكاز على الجوانب المعرفية والوجدانية والحركية في الشخصية الإنسانية.
- التسليح بالمعطيات السيکولوجية الاجتماعية في عمليات التنشيط.
- خلق مؤسسات تربوية ديناميكية.
- تفعيل بنود الحياة المدرسية وتطبيقها ميدانيا.
- خلق أجواء التباري والتنافس والتفوق والريادة والتميز في مجال التعليم.
- ربط المدرسة بالكفاءة والخبرة والجودة الكمية والكيفية.
- تحويل المدرسة من ثكنة عسكرية إلزامية إلى مدرسة الالتزام والمواطنة الحققة والحياة السعيدة.
- ومن هنا، يركز الفضاء التربوي الإبداعي على تنفيذ مجموعة من الأنشطة التربوية الهادفة والممتعة، والتي نذكر منها:

1 - النشاط الثقافي:

يتمثل هذا النشاط في العناية بخزانة الفصل أو مكتبة النيابة، والاهتمام أيضا بنادي الكتاب، والسهر على إنشاء المجالات الحائطية والمدرسية، وتكوين متحف على صعيد الفصل والمدرسة والنيابة، والمساهمة في البحوث العلمية والدراسية، والمشاركة في عمليات التراسل الداخلي والخارجي، والعناية بالمطبوعة، واستخدامها أحسن استخدام في المجال الثقافي، والمشاركة في النوادي الرقمية، والقيام بخرجات سياحية ورحلات ترفيهية هادفة، والعمل على استمرار المسابقات الثقافية بين الفصول الدراسية، أو بين المؤسسات التعليمية فيما بينها محليا وإقليميا وجهويا ووطنيا ودوليا، وتشجيع المدرسين على عرض مؤلفاتهم وكتبهم

5 - النشاط الرياضي:

يهدف هذا النشاط إلى مساعدة التلاميذ على ممارسة الرياضة المدرسية بكل أنواعها، ولاسيما تلك الرياضات التي تناسب أعمار التلاميذ، وخصوصياتهم العقلية والصحية والنفسية، وتراعي بيئاتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية، مع تنظيم المسابقات والمنافسات الرياضية بين الفصول والمدارس إقليمياً وجوياً ووطنياً ودولياً.

6 - النشاط البيئي:

يسعى هذا النشاط إلى دفع المتعلمين والمعلمين معا للاهتمام بالبيئة التي تحيط بنا، سواء أكانت بيئة برية أم بحرية أم جوية؛ وذلك عبر دورات تكوينية وتحسيسية في شكل نصائح وتوجيهات وإرشادات علمية وأخلاقية، وكذلك من خلال عمليات التشجير، والتنظيف، والحفاظ على النباتات، والعناية بالأشجار والحدائق والمنزهات، والسهر على تنقية الساحات المدرسية، والعناية بمجالها الأخضر، والقيام بزيارات إلى الشواطئ الملوثة القريبة من المدينة لتوعية التلاميذ بخطورة الموقف، وشرح أضرار التلوث، وتبيان نتائج المستقبلية على الحياة البشرية.

7 - النشاط الديني:

تسعى المدرسة الإبداعية جادة لتوعية المتعلمين في المجال الديني، كتعليم ناشئتنا كيفية الصلاة، وأداء الفرائض الواجبة، وشرح طرائق المعاملة الحسنة مع الآخرين، وتحفيزهم على حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتعليمهم مبادئ التفسير والتأويل، وتجويد القرآن الكريم، والمشاركة في المسابقات المدرسية الإقليمية والجهوية والوطنية والعالمية في مجال الشؤون الدينية...

8 - تشجيع الهوايات الفردية والجماعية:

ينبغي للمدرسة الإبداعية أن تتحكم في أوقات الفراغ الموجودة عند التلاميذ، وتنظيم ما يسمى أيضاً بالوقت الثالث، عن طريق تشغيل التلاميذ بالعناية بمجموعة من الهوايات المفيدة التي تعود عليهم بالنفع، كالاهتمام بجمع النقود، والحفاظ على المخطوطات، وتسفير الكتب، وجمع الأحجار الكريمة، وتنظيم سجل النباتات، واستجماع المعادن النفيسة، وعرض الطوابع البريدية، وجمع الصور الفوتوغرافية والإشهارية وعينات من الإنتاجات المحلية والوطنية، والاهتمام بالمصنوعات الدالة على كينونتهم وهويتهم الثقافية ...

9 - النشاطات الموسمية:

يحتفل المغرب بصفة خاصة، والعالم بصفة عامة، بمجموعة من المناسبات والأيام والأعياد الدينية والوطنية والدولية. لذا، ينبغي للمدرسة الإبداعية أن تشارك بدورها في هذا الاحتفال، وذلك عن طريق إشراك المعلمين والمتعلمين في توفير جميع الظروف المناسبة لنجاح عملية الاحتفال، كالمشاركة - مثلاً - في ذكرى تأسيس هيئة الأمم المتحدة، والاحتفال بعيد الأم والمرأة، والاحتفال باليوم العالمي لحقوق الطفل، والمشاركة في اليوم العالمي للبيئة، والمساهمة في اليوم العالمي للمحافظة على الثروة الغابوية، والاحتفال باليوم العالمي للامتناع عن التدخين، إلخ...

تحويل المدرسة إلى مركبات التربوية:

إذا كانت المقاربة الصراعية لا ترى في المدرسة سوى فضاء للتطاحنات الإيديولوجية والطبقية، وفضاء للتفاوت الاجتماعي والثقافي واللغوي والاقتصادي، فقد ترتب منطقياً واستنتاجياً عن كل هذا أن أدى الواقع المنهار بالمدرسة التربوية إلى الفشل والإفلاس اللازمين، حيث صارت المدرسة عند الكثير من الملاحظين مؤسسة الخيبة والمأساة والصراع الجدلي والتناقضات الصارخة. بيد أن هناك من يعارض هذا الطرح الصراعى، فيعتبر المقاربة الصراعية ذات أبعاد سياسية وحزبية ضيقة، تنطلق من تصورات ماركسية أو هيغيلية أو منطلقات فيبيرية أو التوسيرية، ومن ثم تفتقد هذه التصورات خاصية الموضوعية، والحياد، والتحليل العلمي المنطقي، ومصادقية التحليل المعقلن. وعليه، فليس من الضروري أن تكون المدرسة فضاء للصراع والتطاحن العرقي واللغوي والثقافي وانعدام تكافؤ الفرص، بل يمكن أن تكون مدرسة ديمقراطية، وفضاء للحرية والإبداع والابتكار، ومكاناً لإذابة الفوارق الاجتماعية، وتعايش الطبقات، وتوحيد الرؤى والتطلعات بين المتعلمين. ومن ثم، على المؤسسة التربوية أن تذيب كل الخلافات الموجودة بين التلاميذ على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي واللغوي، وتحرير المتعلمين المنحدرين من الفئة الدنيا من عقدهم الطبقيّة الشعورية واللاشعورية، وتخليصهم من مركب النقص عن طريق تنفيذ المشاريع المؤسساتية، وتقديم الأنشطة لإمتاع التلاميذ وتسليتهم وترفيهم، وتكوينهم تكويناً ذاتياً يمحي كل الفوارق التي يمكن أن توجد بين المتمدرسين داخل المدرسة الواحدة. ومن أهم الوظائف الأساسية للمدرسة «إيجاد حالة من التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية، وذلك بأن تمنح المدرسة لكل فرد

وشعبة التربية البدنية، وشعبة اللغات، وشعبة الفلسفة، وشعبة الإعلاميات، وشعبة الفلسفة، وذلك في إطار تعليم مندمج ومتكامل عموديا وأفقيا ومنهجيا. علاوة على ذلك، تدرس جميع المواد ضمن شعبة معينة في ضوء المواد المندمجة، ويتم التركيز كثيرا على الإبداع والإنتاج والابتكار والتجريب والمران والاستكشاف والتعلم الذاتي.

الإدارة المبدعة:

تستوجب البيداغوجيا الإبداعية أن تكون الإدارة مبدعة بكل طاقمها التسييري، فلا بد أن تتمثل الإدارة التربوية آليات التدبير والتخطيط المعقنين، باعتماد المقاربة التشاركية، واللامركزية، والاستقلالية، والتسيير الذاتي، وتأهيل الموارد البشرية، وتدبير الموارد المالية، والانفتاح على محيطها المحلي والوطني والعالمي... إلخ. وينضاف إلى ذلك ضرورة تحديث الإدارة شكلا ومضمونا، وعصرنتها بالمعلومات والحواسيب وأساليب الإدارة المعاصرة.

هذا، ويستند العمل الإداري المبدع، تدبيرا وتسييرا وتوجيها وتنظيما، إلى مجموعة من المقاربات، والتي يمكن حصرها في مايلي:

- المقاربة التشاركية: تنبني المقاربة التشاركية على الحوار البناء، والديمقراطية العادلة، والجدال الهادف، وإشراك جميع المتعلمين والمؤطرين والمثقفين والمجتمع المدني في التفكير بجدية في إرساء مجتمع تربوي ناجح، يساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المثلى. كما تعمل الإدارة على تعزيز جميع أطراف الفضاء التربوي على الفعل التشاركي البناء، من خلال تنفيذ مجموعة من الأنشطة وتطبيقها، وكل ذلك بغية اكتساب مهارات معرفية وتقنية وأدائية لتحسين مستواهم التعليمي - التعليمي.

- المقاربة الإبداعية: تركز هذه المقاربة على الإبداع والابتكار والإنتاج، وتطوير التعليم وتجديده، وتحفيز المتعلمين على العطاء والمردودية، ومساعدتهم على التخيل والتنفيذ والاختراع والاكتشاف، وتنفيذ الإنجازات الهامة التي هي في صالح المدرسة المغربية.

- المقاربة الديمقراطية: تهدف المقاربة الديمقراطية إلى تعزيز المنخرطين داخل المؤسسة الإبداعية على فعل التصويت المشروع، والانتخاب الديمقراطي القائم على الكفاءة، واحترام رأي الأغلبية، وعدم احتكار السلطة، وتمثل مبدأ الإنصات والحوار، واحترام الآخر، ونبذ التطرف والكرهية والإقصاء، وتفادي الجدل العقيم

الفرصة لتحريره من قيود طبقته الاجتماعية التي ولد فيها، وأن يكون أكثر اتصالا وتفاعلا مع بيئته الاجتماعية والمذهب الدينية»⁽¹²⁾.

ولابد أن تساهم المدرسة في خلق علاقات إيجابية مثمرة بين التلاميذ فيما بينهم من جهة، وبين المتعلمين وأطر التربية والإدارة من جهة أخرى، تكون مبنية على التعاون والأخوة والتسامح والتواصل والتآلف والمشاركة الوجدانية والتكامل الإدراكي، ونبذ كل علاقة قائمة على الصراع الجدلي والعدوان والكرهية والإقصاء والتهميش والتنافر والكرهية والتغريب والجمود والتطرف والإرهاب.

ولابد للمدرسة من الاحتكام إلى منطق المساواة، وتوفير العدالة والعمل على تحقيق تكافؤ الفرص، ودمقرطة التعليم من أجل تكوين مواطن صالح ينفع وطنه وأمتة، ويحافظ على ثوابت المجتمع، ويعمل جاهدا من أجل تحديث البلد، وتغييره إيجابيا، والرفع من مستواه التنموي، والسير به نحو آفاق أرحب من الازدهار والرفاهية.

ومن ناحية أخرى، ينبغي أن ترتبط البنية المعمارية للمؤسسة الإبداعية بمدرسة المستقبل، فيجب أن يراعى فيها، تصميمها وإنجازها وتجهيزاتها، مواصفات الجودة ومقوماتها الوظيفية والتنوع، والانفتاح على خصوصيات وحاجات وأنشطة محيطها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي... حيث يتجاوز النظر إلى وظائفها مجرد اعتبارها فضاء للتعليم والتعلم، وإنما فضاء مفتوحا لاحتضان أنشطة وتظاهرات اجتماعية واقتصادية وثقافية من خارجها (أنشطة مؤسسات المجتمع المدني، جمعيات، وجماعات محلية ومؤسسات ثقافية... إلخ)، ولن يتحقق ذلك لهذه المدرسة إلا إذا تم تأسيسها في إطار تخطيط تربوي تشاركي متكامل، وبناء على خريطة مدرسية مندمجة قائمة على معايير علمية وتربوية واجتماعية عقلانية، وعلى اختيارات سياسية واضحة الأهداف والمصالح والرهانات والتوجهات...⁽¹³⁾

وعليه، تعتمد المدرسة الإبداعية، في تحقيق نجاحاتها ومردوديتها الإنتاجية، على المركبات التربوية المتكاملة المتميزة بفضاءاتها الجذابة، والتي تضم مجموعة من الورشات والمحترفات والمختبرات والمعامل والقاعات النظرية والتطبيقية.

شعب جديدة:

تستلزم البيداغوجيا الإبداعية إضافة شعب أخرى في التعليم الثانوي، كان تكون هناك شعبة أدبية، وشعبة فنية، وشعبة علمية، وشعبة تقنية، وشعبة اقتصادية،

خاتمة:

يتضح لنا في الأخير، بعد هذا العرض النظري الوجيز، أن البيداغوجيا الإبداعية هي نظرية تهدف إلى بناء مستقبل تربوي حداثي، يقوم على الخلق والتطوير والإبداع والاكتشاف والخلق، بعد المرور الضروري من مرحلة الحفظ البناء، ومرحلة التقليد والمحاكاة والتدريب، وكل ذلك من أجل خلق مجتمع متنور كفاء، قادر على مواجهة التحديات الموضوعية والواقعية والدولية على جميع الأصعدة والمستويات والقطاعات الإنتاجية. بيد أن هذه النظرية التربوية الإبداعية لا يمكن أن تحقق ثمارها المرجوة إلا في مجتمع العمل، والحريات الخاصة والعامة، والديمقراطية المتخلقة.

ولا يمكن تطبيق هذه البيداغوجيا الجديدة إلا إذا أسسنا مدارس الورشات والمختبرات والمحترفات، وعودنا المتعلم / المتمدرس على حب الآلة والفن والتجريب العلمي، وتطبيق النظريات، ودرناه أيضا على فعل التنشيط التخيلي والرياضي، وساعدناه على تمثل فلسفة المنافسة والتسابق والاختراع، وفعلنا الفلسفة البراغمية ذات التوجهات العملية والإنسانية والاستكشافية في الحاضر والمستقبل، وخلقناها دينيا وخلقيا من أجل بناء مجتمع إسلامي مزدهر، يساهم في التنمية العالمية، وذلك عن طريق التصنيع، وإنتاج النظريات، واختراع المركبات الآلية، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتصنيع الأسلحة المتطورة الحديثة لتأمين وطننا وأمتنا، والدفاع عنها بالنفس والنفيس، ودرء العدوان الخارجي، والحفاظ على كرامتنا وأنفتنا وسيادتنا، بدلا من الإحساس بالذل والضم الذي نستشعره اليوم؛ بسبب تخلفنا السيء، وانحطاطنا المتفاعس، وانبطاحنا التاريخي والسياسي والخلقي.

المبني على التعصب والتوتر والتشنج.

3- المقاربة الحقوقية: تسعى هذه المقاربة إلى احترام المتعلمين والمعلمين لبعضهم البعض، وذلك على أساس القيم العادلة والمساواة الحقيقية، وخلق أجواء الاحترام المتبادل، ونبذ الخلاف والانشقاق، ومراعاة العمل التعاوني التشاركي، وزرع المواطنة الحققة في نفوس الناشئة، واحترام الحريات الخاصة والعامة، وصيانة حقوق الإنسان.

4- المقاربة التعاقدية: تنبني هذه المقاربة على احترام العقود؛ لأن العقد شريعة المتعاقدين. ويعني هذا أن المتعلمين والمعلمين داخل مؤسسة الإبداع عليهم أن يحترموا العقود والمواثيق في تنفيذ الأنشطة، واحترام الوقت المخصص لذلك. وترتكز هذه المقاربة أيضا على تحديد مجموعة من الأهداف العامة والخاصة، واختيار وسائل العمل الناجعة، وتبيان عمليات التنفيذ والممارسة والإنجاز، وانتقاء فضاءات العمل التشاركي، والانطلاق من التقويم الإيجابي الهادف والبناء، وتوزيع المسؤوليات والمهام والأدوار بشكل ديمقراطي عادل.

5- مقاربة النوع: تعمل هذه المقاربة على الوقوف بصراحة وحكمة ضد كل أشكال التمييز الجنسي والعنصري واللوني، بخلق أجواء العمل التشاركي الهادف والبناء، مع إذابة كل الفوارق الاجتماعية والطبقية الموجودة في المجتمع داخل وحدة المدرسة الإبداعية، ومواجهة جميع الأحكام الهدامة والمسبقة في حق جنس معين، مع التكيف الإيجابي مع العادات والتقاليد والموروثات القيمة التي تحد من الانفتاح على مؤسسة الإبداع، وتمنع من الإقبال عليها.

6- مقاربة التدبير بالنتائج: تستند هذه المقاربة إلى تحديد المدخلات والأهداف والكفايات المطلوبة، مع التأسيس على النتائج المرجوة، وتحديد السبل الحقيقية للوصول إليها، مع إخضاعها لعمليات التقويم والفيديباك والمعالجة والتصحيح الإبداعي.

الهوامش :

- 8 - عبد الكريم غريب: نفسه، ص: 722.
- 9 - الدكتور جميل حمداوي: من قضايا التربية والتعليم، سلسلة شرفات، رقم: 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م، ص: 137-138.
- 10 - غي أفانزيني: الجمود والتجديد في التربية المدرسية، ترجمة: الدكتور عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1981م، ص: 280.
- 11 - غي أفانزيني: الجمود والتجديد في التربية المدرسية، ص: 279.
- 12 - أمحمد عليوش: التربية والتعليم من أجل التنمية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص: 123.
- 13 - مصطفى محسن: مدرسة المستقبل، سلسلة شرفات، رقم: 26، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص: 55.

- 1 - مارسيل بوستيك: العلاقة التربوية، ترجمة: محمد بشير النحاس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1986م، ص: 19.
- 2 - ابن منظور: لسان العرب، دار صبح بيروت، لبنان/ وأديسوفت، الدار البيضاء، المغرب/ الطبعة الأولى سنة 2006م، ص: 325-326.
- 3 - A. Regarder: Petit Robert, Paris, 1992, p. 419.
- 4 - عبد الكريم غريب: المنهل التربوي، الجزء الثاني، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م، ص: 722.
- 5 - انظر: محمد الدريج: (ماذا بعد بيداغوجيا الإبداع؟ نموذج التدریس بالملكات)، جريدة الأخبار، المغرب، العدد: 62، الثلاثاء 29 يناير 2013م، ص: 8.
- 6 - عبد الكريم غريب: نفسه، ص: 722.
- 7 - عبد الكريم غريب: نفسه، ص: 722.